Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسايرها النيران في كل مسلك ... به القوم صرعى والديار طلول

وتأمل معي وصفه لمعارك العبور . عبور الخيل والجيوش الأنهار لملاقاة العدو .

وصف عبور الخيل « نهر قباقب » فحولته إلى عليل كناية عن شدة الخيل وكثرتها وتزاحمها في الماء ، فيتوقف من هذا الهول جري النهر ، ويتحول إلى شيء مذعور من الفزع . وتزداد روعة الوصف عند أبي الطيب عندما يتابع الخيل في عبورها ، ويصفها سابحة في الماء لا يظهر منها إلا العنق والرأس :

وكرت فمرت في دماء ملطية ... ملطية أم للبنين ثكول
وأضعفن ما كلفنه من قباقب ... فأضحى كأن الماء فيه عليل
ورعن بنا قلب الفرات كأنما ... تخر عليه بالرجال سيول
يطارد فيه موجُه كل سابح ... سواء عليه غمرة ومسيل
تراه كأن الماء مر بجسمه ... وأقبل رأس وحده وتليل

من الممكن أن نلاحظ قدرة أبي الطيب على التصوير والتعبير . وطاقته الشعرية العاتية كظواهر الطبيعة ، وأن ندرك تفوقه في التشكيل اللغوي بالكلمات . وكأنه فنان تشكيلي ينحت – من الصخر – بإزميله تماثيل صارخة الإيحاء واضحة التعبير . وهو بالفعل كذلك فقد ساعدته معرفته الدقيقة بالألفاظ والتراكيب ، وإدراكه لما تشعه هذه الألفاظ وما توحيه هذه التراكيب ، على التشكيل اللغوي الفني لقصائده ولوحاته . إلى جانب حسه العميق بالبيئة وما يحيط بها وذاكرته البصرية التي تلتقط الحسيات بجزئياتها الدقيقة . كل هذا يزيد في حيوية التعبير والتصوير . ولكن يبقى شيء آخر لا يمكن أن نقف عنده في تعبير أو تركيب أو صورة أو تشكيل باللفظ ، ولكننا نحسه عندما نترنم بهذا الشعر سارياً كالنور يضيء من المصابيح الكهربائية . دون أن نعرف ماهية الكهرب . هذا الشيء ثمرة من ثمار سجية خاصة يتمتع بها أبو الطيب وهي « جاذبية الشخصية » وقد سميته فيما مضى من فصول « الإشعاع الفني » ندرك آثاره بالتذوق متمثلاً في تلك الغبطة الروحية والنشوة الانسانية والاهتزاز الفني والجلال الذي نحس به بعد فراغنا من قراءة أي عمل من أعمال المتنبي . إنه ليس مجرد طرب حسي عابر . ولكنه جيشان فكري وروحي وفني نشعر به وقتاً طويلاً . ومن هنا نصير شيئاً غير ما كنا قبل أن نقرأ العمل الفني .

ولعل هذا « الإشعاع الفني » هو الذي ساعده على أن يشكل قصائده هذا التشكيل الفني الرائع على طريقة اللوحات . يرسم عدة خطوط ثم يترك مساحات